شولوخوف : جائـزة نوبل

منحت جائزة نوبل للاداب هذا العام ١٩٦٥ للكاتب السوفياتـي ميخائيل شولوخوف وذلك تقديرا « للقوة والوحدة الفنيتين اللتين اعطى بهما في ملحمته « الدون » تعبيرا خلاقا لمرحلة من تاريخ الشعـــب الروسي »

ولم يكن اختيار اكاديمية الادب السويدية ليثير استغراب احد ، بالرغم من انه كان هناك ثمانية واربعون مرشحا لهذه الجائزة العالمية . والواقع ان مؤلف « الدون الهادىء » لم يكن ينتظر هذا الشرف ليبلغ الشهرة العالمية ، وان المرء ليستغرب كيف ان الاكاديمية تأخرت الى هذا الحد في تقدير شولوخوف بالرغم من ان مجموعة اعماله هي سابقـــة للحرب العالمية الثانية . ولقد اعترف احد اعضاء الاكاديميةبان«التقدير» في الحقيقة ، جاء متأخرا بعض الشيء ، ولكن ، ليس اكثر مما ينبغي لحسن الحظ ، ليضاف الى قائمة الذين فازوا بجائزة نوبل اسم من ابرز كتاب عصرنا . »

ولكن هذا الاختيار ، الذي اعاد بالتأكيد للاكاديمية قيمتها التـي زعزعها بعض الشيء رفض سارتر لجائزتها عام ١٩٦٤ ، هذا الاختيار لم يكن بالاجماع . ولقد لاحظ ذلك ممثلو الصحافة العالمية الذين كـــانوا ينتظرون القرار النهائي في غرفة الانتظار الملاصقة لقاعة الاجتماعات عندما اتى السكرتير كارل رانيار جيرو ليعلن النتيجة . وكان موقفـه مخالف لما هو مألوف ، فلقد ظهر عليه التردد في بادىء الامر ، ثم اعلن اسم شولوخوف من دون ان يضيفاليه اي تعليق ، وقبل ان ينتظر اي سؤال صحفي ، عاد الى القاعة وهو يصفق الباب خلفه مثيرا استهجان الجميع .

وهذه هي المرة الثالثة التي تمنح فيها جائزة نوبل لكاتب يكتـب باللغة الروسية ، والحق انها هي المرة الاولى التي يثير فيها ادبروسي محض انتباه لجنة نوبل للتحكيم . ذاك ان ايفان بونين الذي اختيـر عام ١٩٣٣ كان مهاجرا يعيش في باريس ، وان بوريس باسترناك قـــد اخذ جائزته لمؤلفه « الدكتور جيفاغو » الذي منع في الاتحاد السوفياتي وطبع في الخارج . مما اضطر باسترناك ، تحت ضغط السلطات ، الى ان يرفض الجائزة .

ولقد عبر شولوخوف عن رغبته في قبول الجائزة بامتنان ولسوف ياتي الى ستوكهولم ليتسلم الميدالية الذهبية والديبلوم والشك . بالرغم من انه لم يوفر الاكاديمية ، في « عدم موضوعيتها » عندما منحت الجائزة لباسترناك .

ولقد تلقى الاتحاد السوفياتي هذا النبأ باعتزاز كبير ، ونشـــرت وكالات الاخبار هذا الحدث كاعظم حدث .. وعبر رئيس اتحاد الكتـاب السوفيات السيد سوبوليف عن فرحه بان « تقدر موهبة شولوخوف » واكد « الشرف العظيم الذي حازه شولوخوف واصدقاؤه من الكتـاب السوفيات والادب الاشتراكي » .

وقد ولد شولوخوف عام ١٩٠٥ في قرية من قرى الدون منكوزاكي يبيع الماشية وطحان ، ومن فلاحة متواضعة لم يتزوجها الا بعـــد سبع سنوات من ولادة الطفل . وكان يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامـــا حينما اكتسح الالمان منطقة الدون فانقطع اثر ذلك عن الدراسة .

وفي الخامسة عشرة من عمره التحق باحدى وحدات الجيش الاحمر وشارك في معارك الحرب الاهلية . ثم اتى الي موسكو عام ١٩٢٢ وعمل

فيها كبلاط وكعامل بناء ثم ابتدأ حياته الادبية بنشره بعض الاقاصيص. ثم عاد عام ١٩٢٤ الى بلده (الستنيزا) التي لم يفارقها حتى اليـــوم باستثناء الفترة التي قضاها مراسلا للجيش السوفياتي على الجبهـة اثناء الحرب والفترات التي يتردد فيها الى موسكو بمناسبة المؤتمرات السياسية والادبية .

وشولوخوف هو في الستين من عمره . وكان هو المرشح الرسمي لبلاده قبل ان ينال باسترناك جائزة نوبل. وهو نائب في مجلسالسوفيات الاعلى . ولقد حاز على جائزة لينين عام ١٩٦٠ لروايته «الارض العذراء» وروايته التي نال لاجلها جائزة نوبل هي تاريخية واجتماعية وغرامية في آن واحد . ولقد كتب احد النقاد يقول : ان موهبته كالالماس يبرق من زواياه العديدة . انه يجمع بين القوة في السرد والايجاز في الانفعال والشعر . و « الدون الهادىء » يمثل نجاحا مدهشا تتآلف فيه العناصر الملحمية والبسيكولوجية والشعرية بسعادة نادرة .

واشهر مؤلفاته « الارض العذراء » و « مصير رجل » و « قاتلوا من اجل الوطن » . وتجاوزت طبعات كتبه الاربعين مليون نسخة ، وهو كاتب كثير الشعبية ، وبالرغم من انه شيوعي صارم في ايمانه ، فان مؤلفاته لا تحتوي على دعايات ايديولوجية بحتة .

ولقد امضى عشر سنوات في كتابة « الدون الهادىء » فقدرت كما تقدر رواية « الحرب والسلم » لتولستوي . وهو ما يزال مستمرا في الكتـابة .

واسلوب شولوخوف غني ومتنوع ، فهو يتمتع بالايجاز في السرد والابهة في وصف الطبيعة ، والايقاع في المعارك وهو مباشر ، لا يتردد في استعمال الكلمات الكوزاكيةالشعبية والفظاظات والبربريةفيالحوار.